ديموستين.....
بين الواقع والطموح

الواقع مشخص معيش، والطموح مجرد ما ورائي. وعلاوة على اختلاف كل منهما عن الآخر في الصفات والماهيات، فإنهما أيضاً يتفاوتان ـ كماً ونوعاً ـ باختلاف الشرائح على الصعد كافة، بل ويتفاوتان بين شخصيتين من شريحة واحدة، وحتى في شخصية واحدة بين فترة وأخرى، وربما بين عشية وضحاها. ويمكننا أن نقول بعامة. إننا نجد بوناً شاسعاً على صعيد الواقع والطموح بين حلم الفقير وحلم الغني وحلم الضعيف والقوي وبين حلم ذي العاهة والسوي. ولعل الأول كثيراً ما يفوق الثاني طموحاً.. منطلقاً من مبدأ المغالاة الذي تحدث عنه الفلاسفة لأن طموح الفقير ينبثق من حرمانه، وطموح الضعيف ينبع من عدم قدرته، وطموح صاحب العاهة (ينطلق من إحساسه بعاهته) ومن ردة فعله تجاه نظرة الآخرين له من خلالها. ولكي يغدو الطموح واقعاً **لا بد له من توفربعض الشروط من أهمها:**

obeikandl.com

- **عدم استحالة المطموح به.**
- **وجود إمكانات لدى الطامح تتناسب وسوية الطموح المرغوب فيه لتحقيقه.**
- **وجود أو خلق الظروف الملائمة التي تساعد الطامح على تحقيق مرتجاه ومبتغاه.**

فإذا ما غدا الطموح واقعا أطلقنا عليه اسم الحلم الملغى. أما إذا بقي هدفاً ينشده الطامح بغية جعله واقعاً معيشاً فإنه يبقى في سماواته حلماً (لا ملغى) يداعب الخيال ليس إلا. وما (ديموستين) إلا واحد من أولئك الذين عاشوا واقعاً أليماً ينشد طموحاً كبيراً لا يحد على الصعيدين الفزيولوجي والوطني. فهل استطاع (ديموستين) أن يجعل من طموحه واقعاً وبالتالي حلماً ملغى؟ أم بقي طموحه (سنفونية) يعزفها خياله حتى النفس الأخير؟.

وقفة عند طموحه الفزيولوجي

قبل الحديث عن طموحه الفزيولوجي لا بد لنا من أن نسلط بقعة ضوء على حياته.

ولد (ديموستين) في أثينا/1/ عام (384) ق.م. توفي أبوه وهو في السابعة من عمره مخلفاً له ثروة ضخمة تكفيه طوال سنيّ حياته وتزيد. أدخلته أمه المدرسة في طفولته فأعجب بفصاحة الخطباء، وتاقت نفسه إلى أن يصبح خطيباً وقبل بلوغه العشرين من العمر طالب برفع الوصاية عنه مطالباً في الوقت نفسه أوصياءه بالثروة التي بددوها بعد وفاة والده.

وكان النظام في أثينا كما يقول (أنور أحمد) في كتابه (خطباء صنعوا التاريخ) /2/ يتيح لأي شخص أن يطلب إلى القضاء محاكمة من يرى أنه ارتكب أمراً يستحق عليه العقاب ويقوم الطالب في هذه الحالة بمهمة الدفاع العام. فدخل معهم في نزاع قضائي دام ثلاثة أعوام.

ولا يهمنا اختلاف الآراء بشأن ثروته إن عاد جلها أو بعضها إليه. لكن / الذي يهمنا معرفته / هو أنه استطاع من خلال هذا النزاع أن يكسب خبرة قانونية لا بأس بها فولد ذلك عنده حب دراسة القانون ليتمكن من القيام بمهمة الدفاع العام. فتتلمذ على يد فصيح الأسلوب، العالم بالقانون (إسايس). لاحظ (ديموستين) أثناء مرافعاته الأولى عجزه عن التعبير عما يريد لإقناع الآخرين بعدالة قضيته. ولقد وصفه كل من

كتب عنه بأنه كان (ضعيف الصوت ألكن اللسان مرتبك الإشارات يضحك عليه كل من حضر له مرافعة).

أقض هذا الضعف الفزيولوجي مضجع (ديموستين)، وصار البحث عن وسيلة للخلاص مما هو فيه هو شغله الشاغل. فلف حياته الهم والغم واليأس والقنوط إلى أن شجعه ذات يوم الممثل (ساتيروس) إذ لمس فيه من خلال خطبه الذكاء الحاد والذهن الوقاد والموهبة المتميزة في الخطابة فقال له: إن الإنسان لا ينال عظائم الأمور إلا بعد تعرضه للمصائب الكبيرة لأنه من زوايا الألم يولد الإبداع فابحث من خلال معاناتك عن مفتاح خلاصك. فكانت كلمات (ساتيروس) برداً وسلاماً على (ديموستين) حيث أعادت له ثقته بنفسه ودبت فيه الروح من جديد. فانبرى يفرض على نفسه تدريباً يومياً مضنياً. ولقد قال عنه المؤرخ (بلوتارك): (إن ديموستين شيَّد لنفسه حجرة تحت الأرض وكان ينفرد بها ليتمرن على الخطابة. فكان يحلق نصف شعر رأسه ليجبر نفسه على البقاء في البيت ـ إذا ما سولت له نفسه بالخروج ـ مدة تزيد على ثلاثة أشهر. كما كان يقف أمام المرآة ليختار الإشارات المناسبة للإلقاء ويضع في فمه حجرة يفرك بها لسانه ليحل عقدة ذلك اللسان[1] إضافة إلى صعوده الجبل عدواً وهو ينشد الشعر ويرفع صوته في مواجهة البحر حتى يطغى صوته على هدير الأمواج. إلى أن استطاع أخيراً أن يجعل من طموحه واقعاً. فإذا بهذا الألكن (الذي كاد أن يكون أبكم وكان محط سخرية لمن يسمع مرافعاته) ينفث لسانه سحر الملكين هاروت وماروت من خلال خطبه التي تلهب الحماس وتذكي المشاعر ويصبح لسان حال أثينا كلها. فسما بالنثر اليوناني إلى أن بلغ به درجة الكمال كما وصفه (دايو نيزياس). اتخذ (ديموستين) القانون ـ بعد دراسته له ـ مهنة وعملاً يدر عليه ربحاً وفيراً من خلال المرافعات التي يدافع عنها سواء بنفسه أو من خلال ما كتبه لغيره. حتى أنه في بعض الأحايين كما يقول (فلوطرخوس): كان يعد دفاعاً لكلا الطرفين المتنازعين/3/.

---

(1) لما لحل عقدة اللسان من تأثير فقد نادى موسى ربه قائلاً: (واحل عقدة من لساني يفقهوا قولي) (وأخي هارون هو أفصح مني لساناً فأرسله معي ردءاً) القصص /34/.

أما إذا كان هو المدافع.. أذهل الجميع وكحل أعينهم بسحر رباني، وشنف أذانهم بقول محكم فصل يجعلهم في حالة تنويم مغناطيسي. قال المؤرخ الكبير (فيلون): (إننا إذ نسمع (ديموستين) لا نفكر في كلماته فهو يبرق ويرعد وهو سيل يجرف كل شيء يمكن أن يعترض سبيله فلا نستطيع أن ننتقده أو نعجب به لأننا نكون قد فقدنا السيطرة على مشاعرنا). ويذكرنا هذا الوصف بالخطبة التي ألقاها (انتوان) على الشعب الإنكليزي في مسرحية (يوليوس قصير) لشكسبير إذ غيرت هذه الخطبة آراءهم بزواية /180/ درجة /4/.

لقد استطاع (ديموستين) بفضل جهده الدؤوب أن يجعل من طموحه الفزيولوجي واقعاً وبالتالي حلماً ملغى. فهل استطاع أن يجعل من طموحه الوطني كذلك؟.

لن أتحدث عن أحوال اليونان ونشأتهم لأن موضوعي ليس تاريخيّاً لكني سأجتزئ بعضاً مما قاله (رفاعة الطهطاوي) في كتابه (بداية القدماء وهداية الحكماء) لنتعرف أحوالهم، يقول: (وكان اليونان في بداية حياتهم متوحشين لا تأنس عندهم ولا تمدن، وكان عندهم من الملوك بقدر ما عندهم من الطوائف. لذا فقد كانوا يتحاربون مع بعضهم لكثرة ملوكهم ولم يتمكنوا بسبب ذلك من دفع أحد من الغرباء الأعداء). وهذا يدلنا على آن بدايتهم كانت بداية تفرق وتمزق وقتال دائم فيما بينهم. ثم يضيف قائلاً: (فانتهى الأمر إلى تعاهد أهل اثنتي عشرة من أعظم مدنهم وتحالفوا على الاتفاق. وكان رسل المدن تحضر كل سنة مرة واحدة أو مرتين إلى مدينة (تيرموبوليس) وهناك يعقد مجلس شورى باسم (مفقطيون) نسبة إلى اسم مؤسسه. إذ يبحثون من خلال هذا المجلس (الأمور العصية عليهم ويعاقبون بقوة السلاح كل من شق عصى الطاعة وفارق الجماعة). أيضاً من خلال ما قرأناه الآن يمكننا أن نرى أن أحوالهم قد نظمت بعد فوضى وجمعت بعد تشتت. ثم يقول في موضع آخر: (وفي مدة غياب جبابرة اليونان وأبطالهم وشجعانهم في مدينة طروادة ـ وهي عشرين سنة ـ اختل نظام بلاد اليونان وصار السلب ونحوه) نستشف من هذه العبارة أيضاً أنهم في أواخر أيامهم عادوا كما كانوا في بدايتها فعاشوا عصر ضياع واختلال نظام وفساد أمور فغدت مقدونيا ـ التي كانت دائماً بحاجة إلى حماية أثينا واسبرطة ـ هي صاحبة الشأن، وهي الآمرة الناهية ليس على أثينا فحسب، بل على بلاد اليونان كلها. (وعلى

الرغم من أن المقدونيين يزعمون أنهم من ذرية (هرقل) فإن اليونان لم تعتبرهم كأهالي بلادها، بل كانت تعاملهم معاملة الأعاجم والبربر)[لخ].

نهوض مقدونيا على يد فيليب

يتفق (جورجي ديمتري سرسق) في كتابه (تاريخ اليونان) مع من كتبوا حول اعتلاء فيليب عرش مقدونيا على أنه عندما توفي الملك (برديكاس الثالث) أخو فيليب حاول رجلان كل منهما عدو للآخر أن يتولى المملكة عوضاً عن ابن(برديكاس) الصغير (أمنتاس). فبلغ ذلك سمع (فيليب) وكان عمره آنئذ (أربعة وعشرين عاماً) لكن رجاحة عقله وسعة إطلاعه تفوقا سنة بكثير، وذلك لما نهله من علوم ومعارف (أبا منندس)/5/. فخرج من (طيوه) حيث كان في قتال مع العدو وقصد مقدونيا وتولى الحكم كوصي للعرش نيابة عن ابن أخيه القاصر. وما هي إلا أيام قليلة حتى جعله أهل مقدونيا ملكاً مستقلاً عليهم لحاجتهم الماسة لمن يرتب مملكتهم وينظمها. وهذا لا يقدر عليه ملك صغير طفل قاصر مثل (أمنتاس) لأن مقدونيا كما وصفها (ول ديورانت) في كتابه (قصة الحضارة) (كانت بلاداً همجية يسكنها أشداء جبليون). بدأ فيليب بتحسين الأمور في (مقدونيا). فرتب العساكر وعاملهم برفق حتى دعاهم بـ (الأصحاب)، وعاش عصر تسامح لم يسبق لمقدونيا أن عاشته، وذلك ليكسب ود وثقة الجميع. فلقد روي عنه أنه سمع بأذنه أسيراً شتمه جهاراً فبدلاً من أن يعاقبه كافأة وأجزل له العطاء مما حدا بالأسير أن ينقلب من عدو وحاقد إلى محب وعون وسند[بر]. وعلاوة على معرفته بأمور التدبير والسياسات فلقد كان على قدر كبير من الشجاعة والبراعة والحكمة والحنكة لا يشهر السلاح إلا مضطراً وذلك بعد استقراء لمجريات الأحداث المحيطة به ليكون النصر حليفه مئة بالمئة. ولقد ساعده على توطيد أركانه وتحقيق طموحاته وجود الذهب في

---

(1) (اليونانيون يقولون عن غير اليونانيين بربراً) و(العرب يقولون عن غير العرب أعاجم) أما (اليهود فيقولون عن غير اليهود غوييما). (حيوانات أو بهائم).

(2) ولعل تصرفه هذا كثيراً ما كان يقوم به الأذكياء. إذ لما شتمت معاوية حاقدة عند الكعبة لم يعاقبها. بل اشترى سكوتها بالحسنى واجزل لها العطاء مما حدا بها أن تكون معه بعد أن كانت عليه.

مقدونيا فكسب به أنصاراً جدداً وبخاصة خارج مقدونيا وكان يقول (كلما كثرت أموال المرء أمكنه الحصول على كل ما أراد). إذ مكنه هذا الذهب من شراء بعض النفوس الضعيفة التي سلمته مقاليد بلادها من دون أن يريق في احتلالها قطرة دم واحدة. أمام هذا الخصم العنيد والداهية الشديد وجد (ديموستين) ناهيك عن وجوده زمن ضياع آثينا وتفرقها وتمزقها وطمع الآخرين بها. ولئن وجده الآخرون خطيباً متمكناً لا يشق له غبار فلقد وجده (هيرلاند) /6/ سياسياً بعيد النظر يستشف الحدث قبل وقوعه. ف (ديموستين) اشتهر لا بتفوقه في الخطابة فقط بل بنظرته السياسية أيضاً حيث مكنته هذه النظرة لوحده من بين سائر معاصريه من التنبؤ بالخطر الذي يتهدد اليونان من نهوض مقدونيا، فأولع بالسياسية، أو لنقل إن واقع آثينا الأليم وأطماع مقدونيا بها دفعه للانخراط في السياسية حتى العظم.

لقد كان (ديموستين) فخوراً بآثينيته فخاراً لا يعلو عليه فخار، لأنه كان يرى أن آثينا هي الزعيمة الوحيدة الطبيعية لبلاد اليونان. فحاول نفخ الروح في الآثينيين ليستعيدوا أمجادهم من جديد، فطالب أول ما طالب بإصلاح القوانين وإجراءات التقاضي.

(فقدم برنامجاً علمياً لإصلاح النظم السائدة بصورة تعزز الديمقراطية وتزيد من ثروة الدولة وتضاعف قوتها العسكرية)/7/. صار يتخذ من فصاحته سلاحاً يشهره في وجه فيليب محرضاً اليونان للثورة عليه مما جعل خطبه تشتهر باسم الخطب الفيلبية أو الفيلبيات. ومن يتحدث عن (ديموستين) لا بد له من أن يقف طويلاً عند خطبه لما لها من قيمة على الصعيدين الأدبي والسياسي، حيث وصفته الموسوعة العربية الميسرة بأنه ليس أعظم خطيب أغريقي فقط، بل أعظم خطباء الأرض قاطبة. يقول في خطبته الأولى[1] (لخ): (أيها الآثينيون، حتى متى سكوتكم وإخلادكم إلى التواني؟ متى تدب الحياة في عروقكم؟ ويسري الشعور بالواجب في أعصابكم؟ ماذا تنتظرون؟؟ هل تنتظرون معجزة تهبط من السماء عليكم؟! أي دافع للنفوس الأبية لعمل الواجب أقوى من تهديد مجد آثينا بالزوال وشرفها بالتمزق وكلمتها

(1) أورد بعضاً من مقاطعها فقط.

بالتفرق؟!... إنه لعار لن يفارقكم ولن يمحوه الموت يوم يواريكم في قبوركم. هل الوطنية أن تكتفوا بالذهاب هنا وهناك يسأل بعضكم بعضاً عما جاء من أنباء فيليب؟؟ فواحد يقول إنه مات والآخر يقول: إنه مريض. عجباً!! عجباً يمزق القلب.. أي نبأ هناك سوى أن (مقدونيّاً) يسعى لقهر آثينا وسحق مجدها واستعباد اليونانيين جميعاً؟ ماذا عسى يصيبكم من الغنائم لو مرض فيليب أو مات؟ أو انقضت على رأسه مصيبة من السماء؟ وحق الآلهة لئن لم تهبوا من رقادكم ليسلطن عليكم فيليب آخر ليس دون هذا في الشدة عليكم. فإن فيليب ما قوي اليوم إلا بضعفكم ولا تحرك إلا بسكونكم).

ثم بدأ يعنفهم ليرفضوا الاعتماد على الجنود المرتزقة لأنه لا يمكن أن يدافع عن البلاد دفاع المستميت إلا أبناء البلاد، فقال: (لا تقولوا المرتزقة. نريد رجالاً أحراراً أنبتتهم آثينا.. يرون سعادتهم في عزها وشقاءهم في ذلها. من أرضها كانت بدايتهم، وفي أرضها نهايتهم. منها خلقوا... وإليها يعودون تارة أخرى. أولئك هم أباة الضيم الذين يبذلون دماءهم لتخليص شرفها من الأذى). ثم بدأ يفند لهم نوايا فيليب الذي يخطط للقيام بغزوة مفاجئة عليهم قائلاً: (إن الحرب لا ضابط لها ولا قانون. فهل تريدون الانتظار حتى يأتيكم نبأ الإغارة المفاجئة فيضيع الوقت.. إن كنا نفعل ذلك فيما مضى فلأنه لم تكن لدينا تجارب ولم نكن قد ابتلينا بمثله، أما الآن وقد عظم الخطب وتفاقم الأمر، وأصبح فيليب على أبوابنا فلقد وجب علينا المبادرة إلى تغيير هذه الخطة الخرقاء). ولقد تزامنت هذه الخطبة مع تهيؤ فيليب للاستيلاء على حصن الآثيين بالقرب من بيزنطة. فَسَرَتْ هذه الخطبة في الآثيين سريان النار في الهشيم فهبوا يجهزون الأساطيل لحماية ذلك الحصن مما حمل فيليب على أن يعدل عن غزو الحصن، فغير خطته وهاجم (أولنتوس) في بحرايجه لأنها المدينة التي بقي في وسعها أن توقف زحفه، فاستنجدت (أولنتوس) بـ (آثينا) فهب (ديموستين) يُعَرّي من خلال خطبه سياسية فيليب الطامعة ويؤكد للأثينيين أن مصلحتهم تقتضي عليهم مقاومته فقال: (لن تكونوا مخطئين أيها الآثينيون إذا أخذتم على عاتقكم عبء القتال من اجل الحرية والسلامة للجميع). ولكي يدغدغ مشاعرهم أكثر.. بدأ يحلف لهم بعظمة آبائه الأولين الذين قابلوا العدو

عند (ماراتون)[لخ] بأنهم إن لم يتصدوا لفيليب ليهلكنَّهُم فيليب عن بكرة أبيهم، لأن الموت لا محالة ملاقيهم. فاستجاب الآثينيون لندائه وأرسلوا حملة من الجنود المرتزقة لمساعدة (أولنتوس) غير أن فيليب بحكمته وسياسته واعتماده على اللعب وراء الكواليس استطاع أن يشتري بالمال أكثر قضاة (أولنتوس) ففتحوا له أبوابها وسلموه المدينة بأسرها. فما كان من فيليب ـ بعد أن أحكم قبضته على المدينة ـ إلا أن دمرها وفعل بها ما فعل (يشوع بن نون) بسكان (أريحا) حيث أباحها للسلب والنهب وأقام الحفلات على أنقاضها. ودعى لحضور هذا الحفل الكثير من أهالي اليونان لا حباً بهم أو تعظيماً لقدرهم، بل (لغاية في نفس يعقوب)، فأحسن استقبالهم واستمال بالعطاءات قلوبهم، مما حدا بهم أن يصبحوا أبواق دعاية له بعد عودتهم إلى بلادهم. وبسقوط مدينة (أولنتوس) وإخفاق آثينا في إنقاذها بدأ يسطع نجم الحزب الآثيني المنادي بمسالمة فيليب، حيث ضم هذا الحزب خليطاً من مخلصين ومنافقين ومن أبرزهم (ديمادس) الذي كان لسان حال فيليب أينما حل وحيثما ذهب و(فوسيون) الآثيني الذي كان دائما يقاطع (ديموستين) حتى نعته (ديموستين) بقطاع الكلام، والذي رأى أن فيليب قد فعل ما أوجب احترامه عند اليونان. فاضطر (ديموستين) أن يساير الأوضاع الجديدة ويرضخ لدعاة السلم آنياً وذلك من خلال آرائه التي بدأ يعلنها في المجلس المتكون من خمسمئة عضو وهو واحد منهم. فأرسلت آثينا وفداً يطلب الصلح مع فيليب على أن يكف الطرفان عن الحرب مع احتفاظ كل منهما بما في يده من البلاد. وكان ذلك.. إلا أن هذا لم يدم طويلاً لأن الصلح لا يتناسب وسياسة فيليب التوسعية إذ حاول بهدوء عزل آثينا شيئاً فشيئاً عن باقي المدن الإغريقية. أدرك (ديموستين) ذو العين النفاذة البصيرة ما يرمي إليه فيليب، فبدأ ـ على الرغم من كل الظروف التي تحيط به ـ بفضح النوايا الفيليبية ويحرضهم على القتال. وفيما يلي أورد بعض مقاطع من الخطبة: (إن الصداقة التي تعقد بين الجمهوريات وبين الطغاة ليست بالصداقة الوثيقة التي يركن إليها. ماذا تريدون؟.. الحرية...؟ ألا ترون أن ألقاب فيليب نفسها هي أنكار لهذه الحرية التي

---

(1) تقول الموسوعة العربية الميسرة ص /1612/ قرية أو سهل في بلاد الإغريق القديمة على بعد /32/كم إلى الجنوب الشرقي من آثينا حيث انتصر الآثينيون والميلانيون بقيادة (ملتياوس) على الفرس /490/ ق.م وجاء في الأساطير أن هذا الحفل شهد انتصار ثيثيوس على ثور كبير.

تتشدونها؟ إن كل حاكم مستبد هو عدو للحرية وعدو للقانون ؟ إنكم تحاولون تجنب الحرب ولكني أخشى أن تقودكم هذه المحاولة إلى الوقوع تحت نير الاستعباد.. اذكروا أولاً أن فيليب نقض عهدكم وهذه حقيقة لا مراء فيها ولا محل للخلاف عليها. ثم اذكروا أيضاً أنه عدو آثينا الألد، عدوها الذي يكره أرضها وأسوارها. إن أعظم ما يخشاه فيليب ويمقته هو حريتنا ونظامنا الديموقراطي. يجب أن يسارع كل منكم إلى التبرع بنسبة مما يملك. ثم انهضوا بالجيش واحتفظوا بقوات مسلحة قوية حتى إذ ما تهيأ فيليب لغزو الإغريق وجدتم الجيش اللازم لصده وإمداد حلفائكم. هل تظنون أن فيليب لن ينالكم بأذى إذا ظللتم وادعين لا تحفلون بما يعمل؟ لو أكد لكم ذلك أحد الآلهة فإني لا أشير به عليكم، فماذا تنتظرون؟! هل تنتظرون حتى تروا رجال فيليب في طرقات آثينا يلقونكم أرضاً بالصفع والجلد لا قدرت الآلهة؟ إن مجرد النطق بهذه الكلمات لهو ذل ومهانة). وكما أن (ديموستين) يعرف أنه أمام خصم عنيد فإن فيليب أيضاً يعرف أنه أمام خصم لا يقل عناداً عنه. خصم إن خانته الظروف المحيطة به فإن إمكاناته الشخصية كفيلة بتعويض كثير من هذا النقص. فبدأ يرسل له في الخفاء أعوانه ليشتري سكوته بالمال كما اشترى غيره فما أفلح، لأن أمثال (ديموستين) من الشرفاء لا يساومون على عرضهم أو كرامتهم أو حرية بلادهم وعزّتها. ويكفي (ديموستين) فخراً إعجاب فيليب به في أكثر من تصريح من مبدأ (والفخر ما شهدت به الأعداء). استمر فيليب في حملاته فاحتل أكثر مدن تراقيا مما حدا بالفرس أن تنهض وتتصدى له. لكن (ديموستين) الذي كان لا يملك من القوة إلا لسانه قام مطالباً في خطبه الفيليبية الأخيرة بتخليص (برنتوس) و(بيزنطة) من فيليب، وتبرع للآثينيين بسفينة مجهزة بالعدد و العتاد لتسير مع الأسطول الذي جهزه اليونان المكون من ثلاثين سفينة. فاضطر أيضاً إلى رفع الحصار عن بيزنطة، فامتلأت قلوب الآثينيين غبطة وسروراً وأحسوا بعظمة (ديموستين) الذي أوعز لهم بذلك، فارتفعت منزلته عندهم أكثر، وخبا بالمقابل نجم الحزب الموالي لمقدونيا، فأهدوه تاجاً من الذهب تقديراً منهم لجهاده. لكن فيليب الذي كان لا يكل ولا يمل سعياً لتحقيق أطماعه بدأ يستولي بهدوء وعلى فترات.. على بعض المدن التي تعترض سبيله للوصول إلى اليونان، وهكذا دواليك حتى استطاع أن يقف وجهاً لوجه مهدداً آثينا. أحس (ديموستين) بالخطر الذي غدا قاب

قوسين أو أدنى فانتفض كالملدوغ يدعو اليونانيين للحرب ثانية وسافر إلى (بيوثيا) فحملها بقوة حديثه السحري على التحالف مع آثينا ضد فيليب. والتقى الجيشان، لكن أنى لجيش (آثينا) و(بيوثيا) الصمود أمام جيش مدرب جهزه فيليب بروية ليتناسب وتحقيق طموحاته فهزم فيليب خصومه هزيمة نكراء وعاد بعد نصر ساحق ثانية ليحتفل بهذا النصر الذي حققه على آثينا. وبينما الضحكات تعلو والكؤوس ترتفع والشراب يدور بالرؤوس.. إذ بصيحة شقّت عنان السماء فصمت الجميع ونظروا مشدوهين إلى قائدهم فيليب وهو يتلوى من طعنات خنجر (بوزانياس) الذي قتله لأمر اجتماعي لا سياسي لأنه لم ينصفه في مشاجرة /8/. فتوفي فيليب على أثر هذه الطعنات بعد أن حكم مقدونيا أربعاً وعشرين سنة. وكشأن كل الشعوب المستضعفة المغلوبة على أمرها / عندما تسمع بموت الطاغية التي سلب منها حريتها / عمت الفرحة بلاد اليونان كلها عندما سمعت بموت (فيليب). وكل الاثينيون (ديموستين) في المجلس بالغار والفخار وعاد (ديموستين) يحثهم على النهوض بآثينا ومقارعة الإسكندر الذي خلف أباه على عرش مقدونيا. فأذعن الآثينيون لمطالبه وأرسلوا رسلهم إلى بلاد اليونان قاطبة للدعوة إلى مقارعة الاسكندر. فاعلنت مدينة (ثيبيا) تمردها عليه لكن الاسكندر الذي نهل المعارف فأتقن نقلها على يد المعلم الحكيم أرسطو. كان على الرغم من صغر سنه لا يقل شأناً عن كفاءة أبيه، بل حتى أن الأب عبر التاريخ صار يُعْرَفُ عن طريق الابن. فسار لإخماد الثورات التي قامت عليه في آسيا الصغرى وزحف على (ثيبيا) وفعل بها ما فعل أبوه بمدينة (أولنتوس)، إذ نكل بأهلها وجعل عاليها سافلها ولم يبق منها سوى بيت الشاعر (بيندار)(لخ)، فلف الرعب أرجاء آثينا ثانية وبدأت تستعد خوفاً من غزو مقدوني مفاجئ. لكن الاسكندر الذي كانت نظرته الثاقبة كنظرة أبيه آثر أن لا يغزوها. وإنما طالبهم بتسليم زعمائهم وقوادهم وخطبائهم وفي طليعتهم (ديموستين). فانعقد المجلس سريعاً وابتدأت المشاورات فوصلوا إلى طريق مسدود. إذ ليس أمام المجلس سوى حلين إما الرضوخ للمطالب والنجاة بآثينا أم رفضها وبقاء آثينا

---

(1) ويذكرنا ذلك أيضاً بما أدعته التوراة من أن (يشوع بن نون) عندما فتح أريحا نكل بسكانها ولم يستبق فيها حياً سوى بيت الزانية رحاب والجاسوسين.

عرضة لردة فعل الاسكندر نتيجة الرفض. فقطع (ديموستين) حيرتهم قائلاً: (إن الذئاب التي عاهدت الرعاة مرة على أنها لن تهاجم القطيع إذا سلمها الرعاة كلاب الحراسة.. ما أن سلمها الرعاة الكلاب عن طيب قلب حتى هاجمت الذئاب القطيع كله وفتكت به). فأعلن المجلس على الفور رفض مطالب الاسكندر لكنهم أرادوا محاولة امتصاص نقمته بالحسنى فأرسلوا وفداً إلى الاسكندر ليطلب منه العفو والصفح /9/. وبعد أخذ ورد نجح الوفد في مسعاه وتم الصلح بين آثينا والاسكندر. وأثناء انشغال الاسكندر في حروبه الآسيوية إذ وصل إلى الهند وقال كلمته الشهيرة (ماذا بعد؟)، انتهز هاريبال وزير ماليته الفرصة فاستولى على مبلغ طائل من المال جهز به جيشاً من المرتزقة وهرب به إلى آثينا ليشعل الثورة فيها على الاسكندر، فبذل الأموال الكثيرة ليستميل قلوب الوعاظ فيها فما أفلح لا عن طريق (فوسيون) الذي كان من الحزب الموالي لمقدونيا، ولا عن طريق (ديموستين) الذي كان مضطراً لاتباع سياسة المداراة والحذر خوفاً من بطش الاسكندر حتى لا يعرض آثينا إلى الدمار الذي تعرضت له (ثيبيا) على يد الاسكندر، أو إلى الدمار الذي تعرضت له مدينة (أولنتوس) على يد أبيه من قبل. لكن (هاريبال) الذي لم يستطع إغراء وإغواء خطباء آثينا بالمال. دخل مجلسها العام وأعلن أنه يضع نفسه ورجاله رهن إشارة آثينا إن هي هبت في وجه الاسكندر مُوْهِمَاً (المجلس) بأن قواد الاسكندر قد سئموا سياسته وهم بانتظار من سيعلن إشارة البدء للثورة عليه. فانقسم الآثينيون بين مؤيد ومعارض. بينما هم على هذا الحال جاء وفد أرسلته (أم الاسكندر) والقائد المقدوني العام (أنتيباتر) الذي خلف الاسكندر فيما بعد يطالب المجلس بتسليم (هاريبال) مع المال المسروق فوقعوا في الحيرة ثانية، ولكنهم بعد مناقشة قصيرة وافقوا على اقتراح (ديموستين) بأن يقبض على (هاريبال) حتى عودة الاسكندر مع الاحتفاظ بالمال في (الأكروبول)[1] الخ. فقبض على (هاريبال) وأودع المعتقل ولكنه استطاع أن يفر

---

(1) كان الإغريق القدماء يطلقون كلمة (أكروبول) على الموقع الجبلي الذي تقوم عليه المدينة أو معابدها واشهرها جميعا (أكروبول) آثينا. وهو مرتفع صخري جنوبي المدينة ويعلو عن مستوى السهل حوالي /55/ م ويمتد طولاً/304/م وعرضاً /152/ م تقريباً. وينحسر جانباه الشمالي والشرقي عند هوة سحيقة وينحدر جانبه الجنوبي بميل شديد. ويمكن ارتقاؤه من الجانب الغربي. خصص منذ عهد بعيد لإقامة الهياكل لآلهة المدينة وبعد أعمال التخريب التي

من معتقله، وعندما قصدوا (الأكروبول) ليتفقدوا المال لم يجدوا من المال شيئاً فوجد خصوم (ديموستين) فرصة مناسبة ليصطادوا في الماء العكر بل عكروا الماء ليصطادوا بها حيث كان المال محفوظاً بإشراف لجنة يرأسها (ديموستين) فاتهموه ـ إضافة إلى إهماله الجسيم في مراقبة الحرس ـ بأنه قد قبل رشوة من (هاريبال) لقاء مساعدته على الهرب[لخ]. فطلب (ديموستين). من المجلس تشكيل لجنة للتحقيق في الموضوع وأعلن أنه يقبل حكم الموت إذا تبين أنه أخذ هذا المال. لكن بعد التحقيق ـ وبكل أسف ـ نتيجة للضغوط والرشاوات التي مارسها أعداؤه بغية إدانته والطعن في عفته أدان المجلس (ديموستين) على الرغم من عدم وجود أي دليل مادي ولو كان بسيطاً يثبت إدانته فحكم عليه أن يدفع غرامة مالية قدرها خمسون وزنه فغص (ديموستين) ألماً وحبس دمعه في مآقيه إذ عز عليه أن يتهم وهو البري لأن ذلك يسقطه معنوياً في أعين الآثينيين. فكان هذا الاتهام بمثابة قاصمة ظهر له فهرب إلى أحد الجزر وأقام في المنفى والغصة في حلقه تكاد تقطع عليه الأنفاس. كان الإسكندر في هذه الأثناء يصارع شبح الحمى حيث كان في أواخر أيامه بين مد الحياة وجزر الموت إلى أن وافته المنية عام /323/ ق. م في بابل. وعندما بلغ الآثينيين موت الإسكندر هبوا هبة رجل واحد للخلاص من

سببتها الحروب الفارسية اكتسب أكروبول آثينا مظهراً رائعاً منذ أمر (بركليس) بتعميره فأعيد بناء بوابته الفخمة (البروبولايا) ومعبد الباراثون وأنشىء إلى جانب البوابة معبد آثينا المنتصرة حوالي /450/ ق. م بدأ إنشاء معبد الأرخثيوم شمال الباراثون. راجع الموسوعة العربية الميسرة ص/188/.

(1) أنا بكل تواضع لا أوافق رأي (ول ديورانت) لأنه لو كان المال غاية (ديموستين) لقبله (ديموستين) بل وأخذ أضعاف أضعافه من فيليب لقاء سكوته ولكان من المقربين إليه. وإذا سلمنا جدلاً بأن (ديموستين) قد هرب (هاريبال) ـ وهذا لا أؤيده أبداً. فإنه لم يهربه حباً بالمال بل ليبقيه حياً كونه أحد أهم معادي الاسكندر. ولئن قال ديورانت في كتابه قصة الحضارة ج/7/ ص/413/ بأن زميله (هبيريدترو) كان يتلقى المال من الفرس فما ذلك إلا ليجد باباً يسد فيه حاجة إشعال النار على فيليب. حتى أن (ديورانت) قد اتهمه بأنه مستأجر إذ قال: (بأنه بلغ من النزاهة درجة رضي معها التعذيب والموت في سبيل الآراء التي استؤجر من أجلها ج/7/ ص/412/ وأنا أرى أن هذه الكلمة (استؤجر) كبيرة جداً على (ديموستين) الذي كان يدافع عن آثينا دفاع المستميت بها ولها لا دفاع المستأجر.

الحكم المقدوني. فما كان من المجلس العام إلا أن أرسل في طلب (ديموستين) عاد (ديموستين). إلى آثينا التي هبت عن بكرة أبيها لاستقباله (قضاة وحكاماً وكهاناً وشعباً) فأسقط هذا الاستقبال العقوبة المعنوية عن (ديموستين)، تلك العقوبة التي هي بالنسبة له لا أقسى ولا آلم، وأعفاه المجلس من دفع المبلغ (بصفة غرامة)، وقبل أن يقدمه بشكل منحة كضحية للإله (زيوس) كما هي العادة في آثينا لكل من يريد أن يقدم ضحية، فدفع خمسين وزنة راضياً لأنها قدمت بشكل منحة لا بصفة غرامة[1].

وما لبثت الحرب إلا أن وضعت أوزارها من جديد بين (أنتيباتر) خليفة الاسكندر وبين (البلاد الإغريقية) الثائرة على حكمه وعلى رأسها (آثينا)، فاستطاع (أنتيباتر) بفضل الجيش المدرب القوي من أيام فيليب مروراً بالاسكندر وانتهاء به، استطاع أن يقهر البلاد الثائرة في معركة (كرانون) عام /322/ ق. م. واتجهت جيوش (أنتيباتر) نحو آثينا، وتتالت وفود الدول المنهزمة طالبة الصفح من (أنتيباتر)، ومن الجملة وفد (آثينا) فوافق (أنتيباتر) على عدم مهاجمة آثينا شريطة تسليمها له بعض الزعماء الوطنيين وعلى رأسهم (ديموستين). واستطاع (ديمادس) أكبر خصوم (ديموستين) والذي سطع نجمه هو و(فوسيون) لأنهما من الحزب الموالي لمقدونيا مع (أسكينر) كما أسلفنا، فاستطاع أن يحمل المجلس على قبول الشرط الذي اقترحته مقدونيا بتسليم (ديموستين)..

شعر (ديموستين) بأن موافقة المجلس على تسليمه هي طعنة له في الصميم. ولامناص من موت قادم محتم.

فهرب ـ لكن هذه المرة هرب إلى المعبد ـ والتجأ إلى معبد (بوزيدون) فأرسل (أنتيباتر) الممثل العملاق (أركياس) للقبض عليه. فحاصر وجنوده المعبد من كل جهاته لكنهم لم يدخلوه لأنه كان مقدساً عند اليونان جميعاً.

حاول (أركياس) بالكلام المعسول الخلبي إقناع (ديموستين) الذي عجم عود الحياة بحلوه ومره فلم يغره معسول الكلام، فنظر إلى (أركياس) نظرة ملؤها السخرية قائلاً: (إنك يا أركياس لم تستطع يوماً أن تؤثر في بتمثيلك ولن تستطيع اليوم أن تؤثر في بوعودك). فهاج أركياس وماج وبدأ يتهدد ويتوعد، فأجابه

---

(1) ولعل هذا تأكيد أخر بأن المال لم يكن هدفه.

(ديموستين) بكل هدوء: إنك تتكلم الآن كمقدوني أما قبل ذلك فقد كنت ممثلاً زائفاً). ثم أضاف (انتظر حتى أكتب لأصدقائي). وانسل (ديموستين) إلى داخل المعبد تأكله عيون محاصريه، وجلس أمام منضدة في الهيكل ومسك بالقلم كمن يريد أن يكتب ووضعه بين أسنانه وبدأ يعضه كعادته في الكتابة عندما يريد أن يفكر بعمق. وما هي إلا لحظات حتى شاهد محاصروه تقلص عضلات وجهه، ثم أمال برأسه إلى الخلف واستلقى بعد أن سحب عباءته متثاقلاً وغطى بها وجهه والواقفون حول المعبد المقدس ينظرون إليه ذاهلين. فقال قائل منهم: إنه الخوف صنع به ذلك. وقال آخر: بل هي حيلة. وقال ثالث: إنه يمثل. وكثرت الأقاويل مما حدا (بأركياس) إلى دخول حرم المعبد مشجعاً (ديموستين) على الخروج ومكرراً وعوده الخلّبية له، فأزاح (ديموستين) عن وجهه العباءة ونظر إلى وجه (أركياس) بعينين لا نضّاختين مطفأتين غائرتين غائبتين وشفتين مرتجفتين. فساعده (أركياس) على النهوض، فقال له (ديموستين) بعد أن شعر بأنه قاب قوسين أو أدنى من الموت: (يمكنك الآن أن تلعب في المأساة دور (كريون) /10/ كما يحلو لك، ويستطيع أعداء آثينا أن يطرحوا جثتي للجوارح من غير اكتراث. ثم صمت قليلاً وهو يبلع ريقه ويستجمع قواه ليلقي كلماته الأخيرة. ونظر بصعوبة بالغة نحو الأعلى نظرة يحاول بها شق طريقة إلى الملكوت وقال: (أيها الإله الكريم بوسيدن. ها أنذا أترك معبدك ومازلت حياً كي لا أسمح لـ (انتيباتر) ورجاله ولأعداء آثينا أن يدنسوا قداسته). فسرى السم في سائر جسده لكنه كابر وحاول الخروج من المعبد معتمداً على القوة المتبقية من قواه لكنه ما استطاع . مد يده كمن يطلب العون فسحبه (أركياس) من يده والمحاصرون يراقبون هذا الحدث الدرامي وهو يشرف على نهايته. ولما وصل عتبة الآلهة خطى خطوة.. ثم سقط كما يسقط الشهداء. وهذا السقوط هو السقوط الوحيد الذي يكون فيه السقوط نحو الأعلى. وأسلم الروح بعد أن لفظ بغاية الصعوبة وشق النفس كلمة ضعف من أجل قوتها ، وتعذب من أجل راحتها ، وشقي من اجل سعادتها ، وأهين من أجل صون كرامتها ، ثم مات من أجل استمرارية حياتها. نطق حروفها الخمسة وبين كل نطق حرف وحرف شهقة روح وانطفاءة جسد (آثينا.....آ..ث..ي.. ن ..ا..).

بهذه الخاتمة المفجعة تنطوي صفحة واحد من أهم العشاق الذين أحبوا آثينا حب العبادة. عاشق استطاع بفضل إمكاناته وملكاته الشخصية أن يجعل طموحه الفزيولوجي واقعاً معيشاً وبالتالي حلماً ملغى، لكنه لم يستطع ـ على الرغم من تقديم حياته فداء ـ أن يجعل من طموحه الوطني حلماً ملغى لأن الظروف التي كانت تحيط به وتلف آثينا لم تكن مناسبة لتحقيق ما يريد، فحاول خلق الظروف المناسبة فأخفق لأن هذه الظروف لا يستطيع تخطيها أو إلغاءها فرد واحد وإنما بحاجة إلى الكل والكل كان في شغل عنها.

فكان بحق من أهم المناضلين أيام زمانه والذين خلدتهم آثينا. ومن يرَ تمثاله في متحف (الفاتيكان) الآن، والذي يعد رائعة فنية يرى جسداً نحيلاً ووجهاً عليلاً بدا عليه الهم والغم وكأن كل نصر أحرزه (فيليب) أو (الاسكندر) أو(أنتيباتر) فوق أرضه قد أحدث في وجهه أخدوداً عميقاً.. ومن يرَ تمثاله لا يسعه إلا أن يقف أمامه خاشعاً في احترام وإجلال قائلاً: لو لم يكن لكل أمة ـ في مرحلة نضالها السلبي ـ ديموستينها...(لخ) لما استطاعت أمة من الأمم المغلوبة على أمرها أن تثور. وأن تفتح نافذة للنور لتنال استقلالها وحريتها. لكن (ديموستين) ـ وإن لم يستطع تحقيق طموحاته عبر حياته ليضع آثينا في المكان الذي يجب أن تكون فيه ـ فإنه بموته قد علم الآثينيين ـ بل والعالم أجمع ـ أن الأمة التي تعرف كيف تموت ـ هي الأمة التي تعرف كيف تعيش.

المصادر والمراجع

(1) ولو وجد ديموستين زمن فخار الآثينيين لاستطاع أن يوقف طمع أهل مقدونيا بهم. انظر كتاب بداية القدماء وهداية الحكماء. رفاعة الطهطاوي ص/121/.

obeikandl.com

1 ـ آثينا كان اسمها في بادي الأمر (ققروبيا) نسبة إلى بانيها (ققروبس المصري). انظر كتاب بداية القدماء وهداية الحكماء لرفاعة الطهطاوي.

2 ـ سلسة اقرأ رقم /413/.

3 ـ قصة الحضارة. ول ديورانت ص/411/.

4 ـ انظر مسرحية (يوليوس قيصر) أو كتاب أعلام المسرح الأوربي. محمد غلاب. ص/42/ حتى /45/.

5 ـ أبا منناس نقلاً عن الموسوعة العربية / ت عام ـ 262/م قائد إغريقي من طيبة في بيوثيا اثبت انتصاره على اسبرطة في موقعه (ليوكترا) /271/ ق. م بفضل التعديلات التي أحدثها في الخطط الحربية المألوفة. وانتصر ثانية على اسبارطة /264/ ولكنه كان انتصاراً غير حاسم ومات بسبب الجراح التي أصابته.

6 ـ تأليف ليليان هيرلاندز وآخرون ص/156/ .

7 ـ كما يقول أنور أحمد في كتابه خطباء صنعوا التاريخ.

8 ـ يقول رفاعة الطهطاوي في كتابه (بداية القدماء وهداية الحكماء) ص /125/: (إن بوزانياس واحد من الأعيان قتل فيليب في حفل عام لأنه وقع سابقاً بينه وبين عم كيلوباترا. (وكيلوباترا ابنة فيليب) ـ مشاجرة وعداوة فلم ينصفه منه ولم يخلص له حقه.

9 ـ يقال: إن ديموستين كان من جملة الوفد لكنه خاف من فتك الاسكندر به فعاد أدراجه من نصف الطريق لذلك قال المثل: (كم من شجاع كثير الكلام جبان عند الأقدام).

10 ـ كريون. احد الشخصيات في مسرحية(أنتيغونا) لـ (سفوكليس).

أفلاطـون والفارابـي.....
في المدينة الفاضلة

ظل وحرور... شر وخير.. ظالم ومظلوم.. شيطان ورحمن.. وضيع ورفيع.. دمار وعمار.. ترح وفرح.. فقر وغنى.. فناء وبقاء.. إلى آخر ما هنالك من المثويات التي ـ إن ذكرناها برمتها ـ لملأنا صفحات وصفحات. هذه الصفات تسبقها ذوات لأنه لا صفات بلا ذوات.. فعلى سبيل المثال صفة النور وصفه الخير يمثلها في الزاردشتية (أهورامازدا) وصفة الظلمة والشر يمثلها في الزاردشتية (أهريمن)... وهكذا. وثنائيات الوجود هذه قديمة قدم العالم (بالذات لا بالزمن) لأن الزمان صورة من صور الوجود الفاني وستبقى ما بقيت الحياة على ظهر هذه الأرض. من الفلاسفة من رأى الحياة سقط متاع لا تحوي بارقة سعادة وأنها معبر مأساوي إلى المستقر. (دار أولها فوت وأخر موت) كما يقول (أرسطو). ومنهم من رآها خزاناً طافحاً بالملذات لا تتكرر لمرئ مرتين فعب من لذيذها عباً (ابيقورياً)[لخ] ومازال يطلب المزيد. ومنهم من رآها تحوي النقيضين في آن معاً كوجه (جانوس) في المثيولوجيا الإغريقية (وجه ملاك ووجه شيطان). إلا أن البشر قادرون على جعلها حياة مثلى طافحة بألوان السعادة إذا استطاعوا الانتقال بها مما هي كائنة عليه إلى ما ينبغي أن تكون لتحقيق غائية الوجود الإنساني. فتخيلوا مدناً (يوتوبية) متصورين أنه لو انتقلت هذه

---

(1) فيلسوف يوناني ولد في (ساموس) /342/ ق.م نسب إليه مبدأ (اللذة = الهيدونيّة).

obeikandl.com

المدن من التنظير إلى الممارسة، ومن التخيل إلى ساحة الفعل، لعاش البشر حياة نعيم مقيم في جنة أرضية قطوفها دانية وأنهارها من عسل مصفّى.

ومن هؤلاء الفلاسفة.. (أفلاطون) و(الفارابي) ومن بعدهما (توماس مور)[لخ] و(توماسوكامبانيلا)[بر] وآخرون. وإذا أعدنا مقولة (أرسطو): (إن ما جاء به أفلاطون، عرفته شعوب منذ أجيال بعيدة) لأصابنا العجب بعض الشيء ولأدركنا محاولات البشر الحثيثة منذ وجودهم آملين بتحسين أحوال عيشهم وأمور دنياهم بغية الانتقال من واقع مر أليم إلى طموح مرتجى حلو مأمول. أقول: لو استرجعنا مقولة (أرسطو) لأدركنا العجب بادئ ذي بدء لأننا كنا نتوقع أن (أفلاطون) كان السبَّاق في تصور (المدينة الفاضلة) لكن لو فتشنا في ثنايا التاريخ لأدركنا ما كنا نتوقع. لن أقف عند (هيبوداموس)[تر] الذي رسم (أفلاطون) مدينته الفاضلة على منواله[يز] بل سأقف قليلاً عند بعض ما حدثنا به (بلوتارك)[سم] عن مدينة (ليكورجيوس) في القرن الأول (ق. م) والذي تصفه الروايات التاريخية بأنه واضع تشريع (اسبرطة) لِمَا رأيت من تماثل أحياناً وتطابق أحياناً بين آرائه وبين المدينة الفاضلة الأفلاطونية، فعلى الصعيد الاجتماعي: فوجئ (ليكورجيوس) بالهوة العميقة والفروق الكبيرة بين الأغنياء والفقراء وهاله اكتظاظ المدينة بالمعدمين، فصمم على إعادة توزيع الأراضي الزراعية.

كما أجبر (الاسبارطيين) على تناول نوع من اللحوم حدده القانون وضمن وجبات مشتركة يجتمع فيها الأغنياء والفقراء على مائدة واحدة. والزواج في عرفه لا يتم وفق ميول الأفراد بل وفقاً لمصلحة الدولة. ويجب أن لا يحل حب الأسرة محل حب الدولة.

كما سمح للرجل المسن أن يقدم لزوجته الشابة شاباً يوافق عليه يتسم بالشرف واللياقة، وعندما تنجب زوجته (طفلاً) من هذا النسب الكريم يربيه كما لو كان

---

(1) (توماس مور) ولد في (لو) /1475 -1535/.

(2) (توماسوكامبانيلا) إيطالي /1565 -1639/.

(3) (هيبوداموس) ولد في (أيونيا) ثم أسس المستعمرة الإيطالية المسماة (توريوم) كان مهندساً وعالماً معاً.

(4) من أفلاطون إلى ابن سينا. جميل صليبا ص/59/.

(5) /46 -119/ ب. م.

ابنه. وإذا أعجب رجل بامرأة متزوجة بسبب تواضعها وجمال أطفالها يسمح له بأن يستأذن زوجها ليصرح له بالاجتماع بها لأن زرع تربة جميلة يمكن أن يثمر أطفالاً ممتازين، ويرجع هذا إلى أن (ليكورجيوس) يعتبر ـ كما أسلفنا ـ أن الأطفال ملك الدولة قبل أن يكونوا ملك آبائهم ولهذا لا يريدهم أن يأتوا من أبوين عاديين. فقد لاحظ سخف الأمم التي يجتهد أهلها في الحصول على أفضل سلالة من الخيول والكلاب (أي التهجين في العصور الحديثة) ولا يبخلون على ذلك بالجهد أو المال، بينما يغلقون الأبواب على زوجاتهم ويمنعوهن من إنجاب أطفال من احد سواهم. ولكي يجعل النساء جذابات للرجال من الناحية الجنسية قام بتنظيم حفلات راقصة عامة، وتمرينات رياضية أخرى لفتيات عاريات بحضور الشباب ـ وهذا ما سنجده عند أفلاطون أيضا ـ لأن هذه التدريبات وهذه الحفلات تثير في الشباب من الغرائز ما تثير.. وتحفزهم على الإقبال على الزواج. أما فيما يتعلق بالأطفال: فكان الطفل بعد مولده يؤخذ لفحصه عند شيوخ القبيلة.. فإذا كان قوياً متجانس الأعضاء يعطون الأوامر بتعليمه ـ بعد حصوله على ما نسميه اليوم ب (الشهادة الصحية) ـ أما إذا كان ضعيفاً أو مشوهاً فيلقى في (أبوثيتات ـ كهف عميق) لإخفائه عن أعين أهله وتصريفه بالتي هي أحسن لأن حياة هذا الطفل لن تكون نافعة له ولا للمصلحة العامة ما دامت الطبيعة لم تمنحه منذ البداية القوة وسلامة البنية[1] (لخ).

توصيف مكثف لأهم المحطات في حياة أفلاطون

ـ ولد في (أثينا) /427/ ق.م وتوفي /347/ ق. م. عن عمر يناهز الثمانين عاماً.

ـ نشأ في أسرة (أرستقراطية) شريفة النسب كانت تعده ـ ويعد نفسه أيضاً ـ للعمل السياسي حيث كان اليونان يعتبرون المشاركة في الحياة السياسية مزية للرجل الحر وأنها ميزة خاصة ترفعه عن البرابرة.

ـ قضى حياة الأولى في ظل اضطرابات سياسية وأزمات اجتماعية.

---

(1) المدينة الفاضلة عبر التاريخ. ماريا لويزي بيرنيري. سلسة عالم المعرفة. الكويت العدد /225/ من ص/62/ ولغاية /77/.

ـ اسمه الحقيقي (أرسطو قليس) لقبه مدربه الرياضي سخرية بلقب (بلاطون) لعرض منكبيه فلبسه اللقب حياً وميتاً.

ـ حاز في الجندية على عدة امتيازات، وحصد الكثير من الجوائز في الألعاب الرياضية لامتلاكه لياقة بدنية عالية.

ـ بعد انتهاء معارك (البلوبونيز) /404/ ق. م انكسرت (أثينا) وتحطم أسطولها العظيم. سقطت حكومة رئيس الطغاة (كريتياس) عم أفلاطون، فاستلم زمام الحكم بعد موته (الديمقراطيون)، وكان أفلاطون يكره استبداد عمه الطاغية (كريتياس) كرهه للديمقراطيين على رأسهم (بيركليس)[1].

يكره أولئك الديمقراطيون الذين قتلوا أستاذه (سقراط). ولم ينبع حبه لسقراط إلا لأن (سقراط) كان عادلاً حكيماً صاحب مبدأ. دفع حياته ثمناً لذلك. وبعد مقتل أستاذه سقراط اعتزل أفلاطون الحياة العامة.

ـ سافر إلى (مصر) واطلع على حضارتها ثم إلى (صقلية) واجتمع بطاغيتها (دينيس السيراقوزي) وعرض عليه مبادئه السياسية فانزعج الطاغية من المبادئ ومن وقاحة عرضها فنفاه إلى (اسبرطة) وعاش هناك أسيراً كونه يونانياً، حتى افتداه أحد القورينائيين وهو (انيقرس) فعاد سالما إلى (أثينا) وأسس (الأكاديموس) بالقرب من (كولون) فألقى دروسه وألف كتبه فيها. ويبدو تشاؤمه السياسي واضحاً من خلال كتابيه (الجورجياس) و(الجمهورية).

ـ كان دائرة معارف عصره. فالكون في نظره هيكل هندسة.. وصانع الكون مهندس (ومن لم يكن مهندساً فلا يحق له أن يدخل هيكل الفلسفة).

ـ عشق الفلسفة وطفق يجوب في رحابها ويغوص في أعاميقها حتى منعه ذلك من الزواج. وبدلاً من أن يجعل بيته هو العالم فقد جعل من سائر العالم الرحب بيتاً له فلم ينجب أولاداً لعدم زواجه وإنما أنجب للإنسانية تراثاً فلسفياً ضخماً يعد نقطة علاّم

---

(1) 499 -429 ق.م

بارزة في التاريخ الفلسفي ومرجعاً أُسّاً لكل باحث ومهتم ومتخصص. يمم وجهه شطر الفلسفة غائصاً في بحرها اللجي.

ـ آراؤه قريبة من الشرائع السماوية(لخ) حتى عدوه مسيحياً قبل ظهور المسيحية. ومنهم من قال (أفلاطون عليه السلام)، وهذا يذكرنا بقول (فارنجتن): (إذا ظهر المفكر في الشرق نعتوه نبياً.. وإذا ظهر المفكر في الغرب نعتوه فيلسوفاً).

ـ الفكرة الدينية عنده قوام الأخلاق. يقول في كتابه المدينة الفاضلة: (إن الأمة لا تكون قوية إلا إذا آمنت بإله يعزي القلوب الجريحة ويشجع العزائم الخائرة). كما طالب الكبار أن يبقوا في أذهان الأطفال فكرة الإله لو عزينا إليه كل ما لم نستطع تحقيقه.

ـ طرد الشعراء من جمهوريته لأنهم دعاة أوهام يضللون الناس، ولكن إذا شذ شاعر عن ذلك وكان خيِّراً فقد استثناه من الطرد ولا بأس من بقائه في المدينة. وكان يكره (هوميروس وهزيود) لأنهما تجرّآ على الآلهة، ناهيك عن أنهما يزرعان الخوف بشكل هستيري في نفوس قارئيهم مهوِّلين الموت وما بعده).

ـ كتب (مدينته الفاضلة) في فترة تدهور النظام اليوناني، وذلك بعد أن هزمت (اسبرطة) (أثينا) ـ كما أسلفنا ـ فاستمد (أفلاطون) من عظمة (اسبرطة) ومجدها وكتب (جمهوريته أو مدينته الفاضلة).

العالم عنده عالمان. **عالم المثل**: كامل حقيقي ثابت أزلي أبدي تجريدي هو عالم الله ـ **العالم الأرضي**: عالمنا. عالم ناقص. خداع. متغير. حسي. مثال الكهف(بن). ولعل

---

(1) من أفلاطون إلى ابن سينا. جميل صليبا ص/33/.

(2) يصور أفلاطون أناساً يعيشون في كهف ويدخله النور من باب خلفي وقد سجن فيه أولئك الناس منذ صغرهم مقيدين بالسلاسل في أعناقهم وأرجلهم مما اضطرهم إلى الجمود والنظر إلى الأمام فقط دون المقدرة على الالتفات. ثم تصور من ورائهم ناراً ملتهبة وأن بينهم وبين النار جداراً منخفضاً كسياج المشعوذين، وتصور أناساً يمشون وراء ذلك الجدار حاملين تماثيل بشرية وحيوانية مرفوعة فوق الجدار بعضهم يتكلم وبعضهم لا يتكلم، والسجناء لا يرون سوى الظلال الذي يحدثه اللهيب وراءهم، ويحسبون أن الظلال حقائق وأنها تتكلم، وافترض أن أحدهم استطاع الإفلات من ربق العبودية وخرج وتأمل نور الشمس الحقيقي، وعندما عاد ليقص على

نظرية المثل هي حجر الزاوية في فلسفته كلها[لخ].

آمن بالتقمص وخلود النفس: فالنفس عنده كانت سابحة في ملكوت السماوات العلا وراء مركبة (جوبيتر)[بن]، لكن بعد جنوحها نحو الملذات هبطت إلى العالم الأرضي وأُسِرَتْ في غواسق البدن وبقيت تحن إلى موطنها الأول. فالنفس الكريمة ينتظرها الثواب والنفس الخسيسة ينتظرها العقاب. وقد تخيل أن (آر بن أريوس البامفيلي) قد مات ثم عاد إلى الحياة فروى ما شاهد من الثواب الذي يناله الأبرار والعقاب المحيط بالأشرار.

النفس: عنده ثلاثة أنواع:

- **شهوية مركزها البطن ملتصقة بالشهوات الجسدية من غذاء وملبوس ومنكوح.**
- **غضبية مركزها القلب تلتصق بالغرائز النبيلة وتحافظ على المروءة الإنسانية.**
- **عاقلة مركزها العقل وتلتصق بالتأمل والتفكير ووظيفتها السيطرة على القوتين الغضبية والشهوية لتحركهما نحو الفضيلة.**

كما قسم **الجمهورية** إلى ثلاثة أقسام أيضاً:

- **ذهب ـ يمثله الحكام وينتمي إلى العقل.**
- **فضة ـ يمثله الجند وينتمي إلى الغضبي.**
- **نحاس ـ الصناع والزراع وينتمي إلى الشهوي.**

والزواج من اختصاص (الصناع والزراع = النحاس = الشهوي) أما (الجند = الفضة = القلب). فترافقهم خليلات ينفسن عنهم شريطة أن لا يرتبط أحد بإحداهن. أما طبقة (الحكام = الذهب = العقلي) فلهم ما شاؤوا من النساء وجميعهن رهن يمينهم متى شاؤوا...

أصدقائه ما رأى سفهه الجميع. رمز أفلاطون بذلك إلى (السجين / الإنسان. الظلال / المدينة الحسية، المعرفة اليقينية / معرفة المثل. الشمس / صورة الخير) لأنها مبدأ جميع المثل وأصلها

(1) تاريخ الفلسفة العربية. حنا الفاخوري. خليل الجر. ج /1/ ص/71/.

(2) جوبيتر وهو سيد الأرباب عند الرومان وهو (زيوس) عند اليونان من قبلهم ثم (زاديش) عند العرب.

منشأ الدولة عنده

رأى أفلاطون على لسان (سقراط) (أن الدولة تنشأ عن عجز الفرد عن سد حاجاته بنفسه وافتقاره إلى معونة الآخرين). فالدولة في نظره (نتاج أفراد أهاليها وتستمد شكلها منهم). ولأن (أفلاطون) لا يفرق بين الفرد والجماعة سوى في الكم **فالعدالة** عنده عدالتان:

أ ـ عدالة في الفرد ب ـ عدالة في الجماعة.

وبما أن (الدولة فرد كبير والفرد دولة صغيرة) فحري أن تكون العدالة أظهر في الأكبر وأسهل تَبَيُّنَاً. ولم تكن الدولة هي ما يشغل بال (أفلاطون) وإنما الإنسان ضمن الدولة. فالمدينة العادلة هي التي يمكن أن يعيش فيها إنسان عادل (كسقراط) من دون أن يخشى الحكم عليه بالنفي أو الموت[لخ].

كما ركز (أفلاطون) في مدينته الفاضلة على جملة من الأمور أهمها:

ـ التركيز على أصحاء الأبدان وإهمال السقماء كما كان (ليكورجيوس). وقد استهوت هذه الفكرة من بعد (أفلاطون) (فريدريك نيتشه)[بر] فتحدث عن الإنسان (السوبرمان) بعد أن أعلن عن موت الإله، فوجد ذلك استحساناً في نظر النازي (هلتر) الذي ركز على العنصر الجرماني المتفوق كما رأى[تر].

ـ يخضع أصحاء الأبدان للتدريبات الرياضية والموسيقية مع عدم الإفراط فيهما لأن الإفراط في الرياضية يؤدي إلى الخشونة والإفراط في الموسيقى يؤدي إلى زيادة الليونة. كما حذر من الاختراق الموسيقى وطالب الفتيات أثناء التدريب الموسيقي، كما طالب (ليكورجيوس)، بأن يكن عاريات كما خلقهن الله. كما حدد شروط الزواج والإنجاب، وكل أعزب بلغ خمساً وثلاثين سنة تحاسبه الدولة على عزوبيته.

---

(1) مدخل لقراءة أفلاطون. الكسندر كواريه. ص/129/.

(2) فيلسوف ألماني. صاحب نظرية الإنسان المتعالي والمتفوق /1844 -1900/.

(3) كان لا ينام إلا وكتاب نيتشه تحت رأسه كما أن نده الفاشستي (موسيليني) في إيطاليا كان لا ينام إلا وكتاب الأمير (لميكيافيللي) تحت رأسه أيضاً. كما كان (نابليون) لا ينام إلا والأليزة بجانبه آملاً أن يغدو مثل (آخيل).

obeikandl.com

وحدد سن الرجل في الإنجاب من (50ـ 55) وحدود سن إنجاب المرأة (40) سنة، وبعدها يعاشر كل منهما ما يشاء شرط عدم الإنجاب.

ـ يخضع الأصحاء لامتحانين عادلين خاليين من المحاباة لأن في هذين الامتحانين مصير أمة بحالها، فإذا رسب المتقدم في الفحص الأول فرز إلى طبقة (النحاس = طبقة الزراع والصناع)، وبعد مدة يخضع الناجحون لفحص ثان فالراسبون ينضمون إلى طبقة الجند والناجحون يستمرون في دراسة الفلسفة وينتقى من هؤلاء الحكام.

ـ الحاكم في نظره ولد ليكون حاكماً، إلا أنه على ما يظهر شعر بخطأ تعميمه فقال (قد يلد الذهب فضة وتلد الفضة ذهباً. فإذا ولد للحاكم ولد معدنه نحاس أو حديد فلا يشفقن والداه عليه، بل يوليانه المكان الذي يليق مع جبلته، وإذا ولد للنحاس فضة أو ذهب فعليه أن يأخذ مكانه لأن حلول المرء في غير محله مجلبة للدمار).

صفات حاكمه: طاعن في السن جاوز الخمسين من العمر، وافر الفطنة، عظيم الذكاء عريق الوطنية، قليل الأنانية، فيلسوف في النزعة، عظيم الحماسة، عادل لا يتجاوز نده بل يتجاوز ضده، يعمل لإسعاد جميع من في المدينة، طعامه بسيط صحي معتدل.

ليس بسكير ولا ضحوك.. لا يخص نفسه بمال، إلى آخر ما هنالك من المواصفات التي قلما توجد في فرد واحد.

أشكال الحكم عنده: أفرد (أفلاطون) فصلاً في الجمهورية يعالج من خلاله أضداد الدولة العادلة الاستقراطية التي هيأ لها (أفلاطون) من خلال سائر الصفات التي ذكرناها. ورأى أن باستطاعتنا فهم الدولة الأرستقراطية العادلة من خلال فهم مضادها ونقيضها، فحدثنا عن نقيض المدينة الفاضلة الأرستقراطية من خلال **أشكال أحكام أربعة**:

التيموقراطي: دولة الجاه والنفوذ، وللمرأة دور كبير فيه حيث تقرع الزوجة زوجها أمام أولاده وتوبخه على مثاليته. وتشبه كما سنرى دولة التغلب عند الفارابي

الإوليغارشي: حكم الإقطاع والأقلية. يقيم الشخص في هذا النظام من خلال غناه المادي (و بقدر الدفع يكون المنصب).

الديموقراطي: حكم الشعب الفوضوي.. الذي يفعل كل ما يهوى.. وهو كالمدينة الجماعية عند الفارابي وقد قال عنها (جان بول سارتر) هذا تعبير كلاسيكي سقط لأن حكم الشعب هو مجرد اشتقاق، إذ من الواضح في الديموقراطيات الحديثة أنه لا يوجد شعب يحكم لأن الشعب ذاته غير موجود)[لخ].

الاستبدادي: حكم الطغيان والظلم والمنفعة الشخصية وهو أسوا أنواع الحكم. أن السلطة المطلقة مفسدة مطلقة. وشبه معاونيهم بأنهم أحط من الكلب. كما نجد في الجمهورية دراسة فلسفية نفسية تتعلق بالأطفال وعلى كل مُرَبٍّ قراءتها لما لها من بالغ الأهمية وبخاصة عند المتخصصين بتدريب الأطفال.لقد بنى (أفلاطون) مدينته بناء هرميا ابتداء من الحاكم وانتهاء بطبقة النحاس والحديد. وخلاصة جمهورية (أفلاطون) (لا يمكن زوال بؤس الدولة أو الحكام وشقاء النوع الإنساني ما لم يحكم الفلاسفة أو يتفلسف الحكام).

آراء المدينة الفاضلة عند الفارابي

الفارابي هو نصر بن محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ المعروف ب (الفارابي) أبوه فارسي وأمه تركية. ولد في مدينة (فاراب) ويقولون: إنها تابعة لتركيا وبعضهم يقول إنه من بلاد الفرس ولهذا يضطرب نسبه بين التركي والفارسي[بر].

ولد سنة (780) وتوفي (950) م عن عمر يناهز الثمانين عاماً كأفلاطون ودفن في ضواحي دمشق. عاش في أسرة ذات سعة من المال. درس في (فاراب) العلم والآداب. ومما يروى أن أحد أصدقاء (الفارابي) استودعه كتباً فلسفية كأمانة، فلما اطّلع عليها (الفارابي) مال إلى الفلسفة وبرع فيها. سكن (بغداد) في مرحلة لاحقة اصطحب فيها (أبا بشر متى بن يونس). اتصل بسيف الدولة في حلب وعاش فترة من الزمن في مدينة حماة[تر]. زهد بالدنيا فاعتزل. والتأمل بداية كل نبي ومفكر وحكيم

---

(1) السارترية. د. خليل أحمد خليل. ص/71/.

(2) انظر من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية. د. محمد عبد الرحمن مرحبا. دار عويدات بيروت.

(3) الفلسفة العربية عبر التاريخ. د. رمزي نجار ص/85/.

obeikandl.com

وفيلسوف كـ (إبراهيم ع) و(زارداشت) و(بوذا) الخ. رفض ما أنعمه عليه سيف الدولة من مال واكتفى بأربعة دراهم في اليوم ليسد بها حاجته. ويروي عنه ابن خلكان ما يلي: ((قدم إلى سيف الدولة فوجده في مجلس من العلماء فزاحمه على مجلسه.

ثم أخذ الفارابي يتحدث مع العلماء الحاضرين في المجلس في كل علم وفن. فلم يزل كلامه يعلو وكلامهم يسفل حتى صمت الكل وبقي يتكلم وحده، ثم أخذوا يكتبون عنه ما يقول. صرفهم سيف الدولة وسأله:

ـ هل لك أن تأكل؟.

ـ قال الفارابي: لا.

ـ هل لك أن تشرب.

ـ لا.

ـ قال: فهل تسمع؟

ـ قال: نعم.

فأمر سيف الدولة بإحضار القيان فحضر كل ماهر في هذه الصناعة بأنواع الملاهي فلم يحرك أحد منهم آلة موسيقية إلا وعابه. فقال له سيف الدولة: وهل تحسن هذه الصناعة أيضاً؟ قال: نعم. ثم أخرج من وسطه خريطة وفضّها وأخرج منها عيداناً وركبها ولعب بها فضحك منها كل من كان في المجلس، ثم فكها وركبها تركيباً آخر وضرب بها فبكى كل من كان في المجلس، ثم فكها وغير تركيبها وضرب بها فنام كل من كان في المجلس حتى البواب. فتركهم نياماً وخرج)). ويقال: إنه كان يتقن سبعين لغة.

ما سمعناه لا يمكن أن نسلم به جملة وتفصيلاً فـ (أوروفيوس) لم يكن قيثارة مُنَوّماً ومضحِكاً ومبكياً ولم يبق لعود (الفارابي) سوى أن يبرئ الأكمه والأبرص! ثم.. هل من المعقول أن يصل أحد إلى بساط سيف الدولة ويزاحمه في مجلسه ـ وهذا لا يمكن أن يكون بين عشية وضحاها ـ إلا بعد أن يعرف كل شيء عن أصله وفصله وملكاته، فكيف لا يعرف سيف الدولة هذه الملكة التي تشبه سحر عصى موسى فيسأله مستفسراً غير عارف إن لم نقل يسأله سؤال الجاهل، وحاشا له ذلك،

obeikandl.com

حين قال (و هل تحسن هذه الصناعة أيضاً؟). أما على صعيد إتقانه (سبعين لغة) فيحق لنا أن نسأل: ترى !! ما هي هذه اللغات السبعون و(حنا الفاخوري وخليل الجرح) يخبرانا في كتابيهما المكون من جزأين (تاريخ الفلسفة المعاصرة)[لخ] بأن (الفارابي) كان يجهل (اليونانية والسريانية) وهما من أهم اللغات في عصره إن لم نقل أهمها. إلا أن هذه القصة تنبينا بمكانة (الفارابي) المرموقة ومنزلته العليا لدى الجميع لتميز إبداعه ـ إن لم نقل لتفرده في عصره ـ بدليل أن سيف الدولة بنفسه صلى عليه يوم مماته.

وقد عده (مسينيون) (أول مفكر مسلم كان فيلسوفاً بكل معنى الكلمة). وفي ذلك رد على ما قاله بعض المستشرقين: (لا توجد فلسفةإسلامية) و(لا يفلح عربي إلا بنبي)... الخ.

لقد قام (الفارابي) ـ في الفلسفة العربية ـ بالدور الذي قام به (أفلوطين) في الفلسفة الأفلوطينيّة المحدثة. و(أفلوطين) هذا صاحب نظرية الفيض الذي ركز عليها (الفارابي) حيث رد (أفلوطين) كل شيء إلى الله.

ـ أطلق على (الفارابي) المعلم الثاني بعد المعلم الأول (أرسطو). ولقد اعتبرتُ في كتابي الأخير (قراءات مسرحية)[بر] أن المعلم الثالث قد فاق المعلمَيْن واحتواهما. هما ومن سبقهما ومن بينهما أيضاً. وما أتى بعدهما حتى الآن ألا وهو (التلفزيون).

ـ آمن (الفارابي) بوحدة الفلسفة على الرغم من اختلاف الفلاسفة لأن الزمان لا يبدل مقاصدها وغاياتها بل يبدل صورتها وطرائقها.

ـ حاول التوفيق بين الدين والفلسفة شأنه في ذلك شأن سائر فلاسفة المسلمين لأن الدين والفلسفة في رأيه يصدران عن اصل واحد هو العقل الفعال ولا فرق جوهرياً بينهما. كما أنه لا فرق بين الحكماء والأنبياء، وبين الحكمة والشريعة. وقد حذا في ذلك حذو (فيلون)[تر].

---

(1) ص/90/.

(2) طباعة اتحاد الكتاب العرب.

(3) من أشهر فلاسفة اليهود (لقب بأفلاطون اليهود) /025/ ق.م /4/ ب.م وهو قبل أفلوطين،

كما قدم (الفارابي) حلولاً لمشكلة العلاقة بين الدين والفلسفة كما قدمها (فيلون) إذ هي وليدة ظروف متشابهة، وهذا الشبه في الكليات والعموميات لا في جزئيات الحلول وتفاصيلها، فالرجل العادي لا يختلف عن العبقري في الكليات بل في الجزئيات[لخ].

ـ ألف الفارابي كتبا كثيرة وقد أُحْصيَ له حوالي /187/ كتاباً لم يصلنا سوى بعضها، بعكس (ابن سينا) الذي تلاه حيث وصلتنا أكثر كتبه.

ـ يتصف أسلوبه بشدة الغموض وكثرة الإيجاز وقلة التكرار لاهتمامه بالمعنى أكثر من اهتمامه بالمبنى.

ـ افتتن الفارابي بالجانب السياسي في فلسفة أفلاطون فألف كتابه (آراء أهل المدينة الفاضلة) ابتدأ بتأليفه في بغداد وحمله معه إلى الشام وأتمه في دمشق وجعل فصوله في مصر.

ـ لم يؤلف الفارابي كتابه هذا في أيام شبابه.. بل في شيخوخته بعد أن بلغ السبعين من العمر. لذا فكتابه هذا لم يكن حلماً من أحلام الشباب بل هو خلاصة مذهبه في الكون والحياة معاً (كأفلاطون) الذي لم يتكون مذهبه دفعة واحدة بل تبلور طوال حياته. ـ قد يتبادر إلى ذهن القارئ لكتاب (الفارابي) أنه سيجد فيه انتقاداً لجمهورية أفلاطون أو ـ على الأقل ـ رداً عليه في الأمور التي تتعلق بأحكام الدين، إلا أن الكتاب ليس فيه ما يصرح أو يلمح إلى ذلك. ولعل النقد لم يكن هدف (الفارابي). ولقد عرف (الفارابي) المدينة الفاضلة بأنها (المدينة التي يقصد الاجتماع فيها بالتعاون على الأشياء التي ينال بها السعادة الحقيقة). وفيما يتعلق بالاجتماع فقد قال: (والإنسان مفطور على الاجتماع لأنه لا بقاء للأفراد إلا إذا تعانوا على نيل ما يحتاجون إليه). فالاجتماع في نظره ينشأ عن حاجة الأفراد إلى التعاون. وقد أخذ ابن خلدون عنه هذه الفكرة التي أخذها (الفارابي) بدوره من (أفلاطون). قال ابن خلدون: (إن الاجتماع الإنساني ضروري). ويعبر الحكماء عن هذا بقولهم

وأستاذ (فيلون) اسمه (أمونيوس سكاس).

(1) من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية. د. محمد عبد الرحمن مرحبا.

(إن الإنسان مدني بالطبع أي لا بد له من الاجتماع الذي هو المدينة في اصطلاحهم أي بمعنى العمران).

قسم الفارابي في كتابه الاجتماعات بحسب روابطها إلى كاملة وغير كاملة:

الكاملة:

1 ـ عظمى: وهي اجتماعات الجماعات كلها في المعمورة تحت سلطة رجل واحد (أكمل الجماعات).

2 ـ وسطى: وهي اجتماع أمة في جزء من أجزاء المعمورة (كالأمة العربية مثلاً).

3ـ صغرى: وهي اجتماع أهل مدينة ما.. مثلاً.

غير كاملة:

1 ـ اجتماع أهل القرى.

2 ـ اجتماع أهل المحلة.

3 ـ اجتماع في منزل وهو (أصغر المجتمعات).

وأحسن دولة تنال بها السعادة الكبرى ـ في نظره ـ هي الدولة الكبرى. ولقد رأى (الفارابي) أن السعادة ممكنة على الأرض إذا تعاون أفراد المجتمع على نيلها بأعمالهم الفاضلة. وتتبأ باجتماع الأمم كلها تحت سلطة رجل واحد. وقد سبق في تصوره هذا اليونانيين لأن مفكريهم لم يخرجوا في الأمور السياسية عن أفق الحياة اليونانية. وكأنه كان يستشرف أفاق القرن العشرين والواحد والعشرين مبشراً بـ (عالمية إنسانية تحت سلطة رجل واحد) (لا بعولمة أمريكية) تضطرك لأن تسير وفق تيارها، فإن لم تكن أمريكياً فأنت (إرهابي). ولعله استقى عالمية مدينته بشكل مباشر أو غير مباشر من معتقده الإسلامي (لأن الإنسان أخو الإنسان) و(لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى).

النفس: عند الفارابي

قسم الفارابي النفس وقواها أيضاً إلى ثلاثة أقسام:

1 ـ **نباتية**: مهمتها الإغتذاء والنمو والتوالد وهي أدنى مراتب النفوس. وموجودة في سائر الكائنات.

2 ـ **حيوانية**: تحس وتتحرك بحركة إرادية. أسمى من النباتية.

3 ـ **إنسانية**: تدرك المعقولات وهى الأسمى والأرقى. كما أجرى (أفلاطون) مقايسة بين النفس وأقسام الجمهورية وأجرى مقايسة بين الجسد والدولة.

حيث شبه الكسالى بالبلغم، والمسرفين بمرض الصفراء، هكذا أجرى (الفارابي) مقايسة بين الجسد والدولة حيث شبه مدينته الفاضلة ببدن تام صحيح تتعاون أعضاؤه كما تتعاون (المدن في الأمة) و(الأمم في المعمورة) فقال : (إن العضو الرئيسي في الجسد هو القلب، والقلب عند (أفلاطون) يمثل الغرائز النبيلة... أكمل أعضائه وأتمها، وكذلك رئيس المدينة يجب أن يكون أكمل أجزاء المدينة)، فالعضو القريب من القلب يخدمه في أغراضه أما الأبعد فإنه يخدم العضو الأقرب إليه كالأفراد الذين يلازمون الرئيس أيضاً يكونون في المرتبة الأولى (كالجند عند أفلاطون)، والأفراد الذين في المرتبة الثانية يخدمون أفراد المرتبة الأولى (وهكذا تترتب أجزاء المدينة إلى أن تنتهي إلى أعضاء يَخدِمون ولا يُخدمون ويكونون في أدنى المراتب[لخ] (وهم طبقة الصناع والزراع عند أفلاطون). هذه الآراء تذكرنا بآراء (سبنسر) وغيره من أصحاب المذهب العضوي الذين يقايسون بين المجتمع والجسم الحي. فكأن الجماعة ـ في عرفهم ـ جسد كبير وكأن البدن جماعة صغيرة. وكما فعل (أفلاطون) في عرضه لمضادات النظام الأرستقراطي فعل (الفارابي) في عرضه لمضادات المدينة الفاضلة، **وكانت عنده أربعة** كعدد المضادات عند (أفلاطون):

الجاهلة، الفاسقة، المتبدلة، الضالة[بر].

أ ــ المدينة الجاهلة: تذكرنا بكلام (أفلاطون) عن (التيموقراطية) وهذه المدينة لم يعرف أهلها السعادة ولا خطرت ببالهم ولا يعرفون من الخيرات سوى سلامة

---

(1) من افلاطون إلى ابن سينا. جميل صليبا ص/68/.

(2) آراء أهل المدينة الفاضلة. الفارابي ص/90/.

الأبدان والتمتع باللذات... ونيل المجد والعظمة. وإذا أضاع أحد أفرادها مالاً أو أصيب بآفة ما.. أو فاتته لذة عد ذلك فساداً وخسارة كبيرة.

أقسام المدينة الجاهلة:

المدينة الضرورية: يتعاون أهلها على الضروري فقط من مأكول ومشروب ومنكوح.

المدينة المتبدلة: يتعاون أهلها على بلوغ الثروة والغنى لظنهم أن الغنى هو غاية الحياة وهدفها (المال غاية لا وسيلة).

مدينة الكرامة: يتعاون أهلها ليكونوا مكرمين ممدوحين مشهورين ذوي فخامة وبهاء مذكورين عند الأمم.

مدينة الخسة والشقوة: يكتفي أهلها بالمتع الحسية والمتخيلة والملذات الجسدية ويؤثرون اللعب والهزل على الجد.

مدينة التغلب: وهم القاهرون المتلذذون بقهر الغير (و تذكرنا هذه بالمدينة الأوليغارشية والمتبدلة).

مدينة الجماعة: (تذكرنا بديموقراطية أفلاطون) وأمور أهل هذه المدينة فوضى يفعل كل منهم ما يشاء حسب هواه.

ب ــ المدينة الفاسقة: أهلها يعلمون ما يعلمه أهل المدينة الفاضلة من أسباب السعادة ويعرفون الله.. إلا ان أعمالهم أعمال المدن الجاهلة.

ج ــ المدينة المتبدلة: كانت أراء أهلها وافعالهم مطابقة لأفعال أهل المدينة الفاضلة إلا أنها تبدلت وحلت محلها الأراء الفاسدة فاستحالت أفعالها إلى أفعال مذمومة.

د ــ المدينة الضالة: يعتقد أهلها بالله والعقل الفعال[1] اعتقاداً فاسداً ويدّعي

---

(1) العقل الفعال: يسميه الفارابي الروح الأمين وروح القدس آخر العقول المفارقة. واهب الصور، هو كالشمس يحيل المرئيات التي هي بالقوة إلى مرئيات بالفعل وحال الشمس في المحسوسات كحال العقل الفعال في المعقولات.

العقل الهيولاني: عقل بالقوة يسمه الأفروديسي العقل المادي وظيفته انتزاع صور الموجودات وماهيتها دون موادها فالمعقولات قبل أن تعقل تكون معقولات بالقوة.

رئيسها أنه يوحى إليه فيخدع الناس ويغريهم بأقواله وأفعاله. ثم تحدث عن النوابت فجعلهم بمنزلة الشيلح من الحنطة أو كالشوك في الزرع وهم بمنزلة البهائم.من آراء أهل المدن غير الفاضلة الداء السبعي. وهو عرض لمفهوم العدل الناقص كما فهمه(الفارابي) عن (أفلاطون) ؟. قال (الفارابي): (إن كل موجود يحاول إبطال الآخر. فأكثر الحيوانات تقضي على باقي الحيوانات الأضعف منها لإبطال وجودها حتى ولو لم يكن له في ذلك هدف ومصلحة وكأن الموجودات طبعت على هذه العادة وتريد أن يكون لها البقاء وحدها وإذا أبقت على حياة موجودات أخرى فإنها تريدها لمصلحتها لاستبعادها وسلب حريتها). نشتم من ذلك رائحة أن البقاء للأقوى لا للأصلح).

(نظر الإنسان إلى هذه الحال فظن أنه هو أيضا يجب أن يحيا على هذا الطراز ونسي أنه الإنسان العاقل الذي يميزه عن غيره اختياره وإرادته ورويته. وهكذا ظن البعض أن المدن يجب أن تتعارك وتتحارب لا نظام فيها ولا رتب. بل كل إنسان يحاول أن يبقى هو وحده ويزيل الآخرين. لا مجال للحب والارتباط ولا اجتماع إلا لمصلحة.. ولا يجتمع أحد بالآخر إلا لقهر من هو أقوى منه وبعد القهر لهذا الإنسان تبدأ محاولات

العقل بالفعل ـ (بالملكة) إذا حصلت المعقولات بالفعل أصبحت ملكة وأصبح بالنسبة إليها عقلاً بالفعل لكنه يظل عقلاً بالقوة للمعقولات التي لم يعقلها بعد فإذا ما عقلها أصبح بالفعل (عاقلة بالفعل وعقل بالفعل ومعقول بالفعل معنى واحد بعينه). للمعقولات وجودان: وجود بالقوة قبل أن تفعل ووجود في الفعل.

العقل المستفاد: هو العقل بالفعل الذي عقل المعقولات المجردة وصار قادراً على إدراك الصور المفارقة. والفرق بين المعقولات المجردة والصور المفارقة أن الأولى كانت في مواد فانتزعت منها والثانية فهي دائما مفارقة وليست في مواد ولم تكن فيها أصلاً كالعقول السماوية مثلاً ولا يبلغ العقل بالفعل درجة المستفاد إلا بعد أن تحصل له (المعقولات) كلها معقولة بالفعل وحينئذ لا يكون بينه وبين العقل الفعال شيء آخر.

العقل الإنساني عند الفارابي ثلاثة أنواع:

- أدناها الهيولاني ـ بالقوة وهو كالمادة بالنسبة إلى العقل بالفعل.
- العقل بالفعل وهو كالصورة بالنسبة إلى العقل الهيولاني وكالمادة بالنسبة إلى العقل المستفاد.
- العقل المستفاد: أعلاها وهو كالصورة بالنسبة إلى العقل بالفعل وكالمادة بالنسبة إلى عقل آخر ليس بإنساني هو العقل الفعال.

القهر الجماعية وهذا الداء السبعي أثر على الآراء الإنسانية)[لخ] من خلال ما تقدم نرى أن وصف (الفارابي) للمدن الضالة أبلغ من وصفه للمدن الفاضلة[بن] فالعدالة: في الأنظمة غير الارستقراطية عند (أفلاطون) (هي منفعة الأقوى) والعدالة وعند (الفارابي) في المدن غير الفاضلة هي (أن استعباد القاهر للمقهور) أيضاً من العدل وأن يفعل المقهور ما هو أنفع للقاهر. (وهذا عند نيتشه ـ وهو حق القوي على الضعيف) هو أيضا عدل. هذه كلها هي العدل الطبيعي وهي الفضيلة. والفضيلة في المدن غير الفاضلة دالة على ضعف وخوف لأن ما يسمى عدلاً في البيع والشراء.. وما إلى ذلك.. فإن مستعمله يستعمله لأجل الضعف والخوف. فإذا كان المتعاقدون ضعفاء يخاف بعضهم بعضاً يحافظون على الشركة.. لكن.. متى قوي أحدهم على الآخر غيَّر شروط الاتفاق (مثال أمريكا والدرع الصاروخي مع روسيا).. (وإسرائيل والعرب وبخاصة القضية الفلسطينية) ونظرة الضعفاء في المدن غير الفاضلة عند (الفارابي) تذكرنا بقول (نيتشه)[تر]: (الضعفاء يحسبون أنفسهم صالحين لأنه ليس لديهم براثن). وهذا يذكرنا أيضا بقول (هوبز)[ير]: (الإنسان ذئب على أخيه الإنسان). والجنس البشري كله في رأي (هوبز) ينقسم إلى قطعان من الماشية ولكل قطيع راعيه الذي يحرسه ليفترسه).

صفات رئيس المدينة الفاضلة عند الفارابي

أ ـ أن يكون المرشح مُعَدّاً للرئاسة بالفطرة والطبع وهذا يذكرنا بـ (أفلاطون) (ولد الحاكم ليكون حاكماً).

---

(1) الفلسفة العربية عبر التاريخ. رمزي نجار ص/113 -114/.

(2) المصدر نفسه ص/73/.

(3) فريدريك نيتشه. فيلسوف ألماني /1844 -1900/ ب. م تحدث عن الرجل (السوبرمان) بعد أن أعلن موت الإله: يرى أن الحواس مصدر المعرفة وكل شيء، وجميع المعارف تصدر عن الحواس.

(4) يقول: الله ليس موضوع فلسفة بل هو موضوع إيمان وعدل. يقول بالمادة وينكر عالم الرياضيات /1588 -1679/ فيلسوف إنكليزي ـ الفلسفة العربية عبر التاريخ. رمزي النجار ص/103/.

ب ـ أن يتمتع بالملكة الإرادية والهيئة (والرئاسة تتوفر فطرياً لمن أُعدَّ لها) /3/. فرئيس الفارابي حكيم فيلسوف نبي إمام منذر بما سيكون (لحلول العقل الفعال فيه). فيفيض عليه ما يفيض من الله على العقل الفعال. وصفات رئيسه تكاد تطابق أوصاف رئيس المدينة الفاضلة عند (أفلاطون) إذ على رئيس المدينة الفاضلة الفارابية أن يتمتع بـ (باثتي عشرة خصلة) (اثنتان جسديتان) (أربع خصال فلسفية) (ست خصال خلقية).

الجسدية (تام الأعضاء)، (حسن العبارة). **الفلسفية** (جيد الفهم والتصور)، (جيد الحفظ لما يسمع ويرى بلا نسيان) فطن ذكي محب للعلم والاستفادة ولا يؤذيه الاجتهاد في تحصيل ذلك العلم. أدرك (الفارابي) كما أدرك (أفلاطون) من قبل أن صفات رئيسه صعب أن توجد مجتمعةً في رجل واحد فقال: (فإذا لم يوجد إنسان واحد اجتمعت له هذه الصفات ولكن وجداثنان احدهما حكيم والثاني فيه بقية الصفات كانا هما رئيسين. وإذا اجتمعت هذه الصفات في ثلاثة أو أربعة كانوا جميعاً رؤساء(لخ). أما في مرحلة الفراغ حيث لا يوجد مثل هذا الإنسان فيقترح الفارابي أن يحكم الرئيس في المدينة الفاضلة بشرائع الرئيس السابق وقوانينه شرط أن تتوفر فيه شروط ستة وعلى رأسها الحكمة(بن) أما إذا لم يوجد رئيس تضاف إليه إدارة المدينة لم تلبث هذه المدينة بعد مدة أن تهلك.

جماعة القول: لقد تصور (أفلاطون) جمهوريه (ارستقراطية) يحكمها فلاسفة حكام أو حكام فلاسفة بينما تصور (الفارابي) جمهورية (أوتوقراطية) (ثيوقراطية) يحكمها فرد حكيم نبي إمام بيده مقاليد كل شيء. وكأن (لا خافيته = لا شعوره) قد همست في أذان (واعيته = شعوره) أن تذكر خليفة المسلمين الحاكم لشعوب تعددت أنسابها وتوحد معتقدها تحت راية الإسلام فصارت جسداً واحداً في

---

(1) من أفلاطون إلى ابن سينا. جميل صليبا ص/77/.

(2) الشروط الستة. الحكمة. العلم. حفظ شرائع من سبقه في الحكم. القدرة على استنباط ما غاب عن السابقين مراعياً خطة الأولين غير محيد عنهم. يتمتع بالروية في معالجة الأمور والحوادث متحرياً إصلاح المدينة في جميع ما يستنبطه. جيد الإرشاد في حديثه عن شرائع الأولين وعلى ما استنبطه هو من بعدهم. متقن لصناعة الحرب يستطيع أن يؤدي دور الجند والقائد في أن معا. الفلسفة العربية عبر التاريخ. رمزي نجار ص/105 -106/.

ظل دولة اتسعت رقعتها الجغرافية في الاتجاهات الأربعة. لقد سار (الفارابي) على خطا(أفلاطون) في أمور وابتعد عنه في أمور أخرى لو تحدث بها مؤيداً لسار حافياً على حد سيف مصقول، أو مشى على حبل تحته جرف هار، لأن الحديث فيها قد يوصله إلى أمور لا تحمد عقباها ولنورد بعضها(لضيق الوقت) في صيغة أسئلة.

ـ هل يستطيع الفارابي أن يطلب من خليفة المسلمين أن لا يخص نفسه بمال أو بولد (و المال والبنون زينة الحياة الدنيا)؟

ـ هل يستطيع أن يؤيد شيوعية النساء والنظرة الشرقية بعامة والإسلامية بخاصة تضع هذه المسألة في سلم الأولويات وفي أعلى قمة الهرم وأن الحفاظ على العرض أسمى مقاييس الشرف (ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلاً)؟

ـ هل يمكنه المطالبة بقتل الأطفال السقماء (ليس على المريض حرج) وكيف يقتل نفساً حرم الله قتلها إلا بالحق.. (ومن قتل نفسا بغير حق فكأنما قتل الناس جميعا) نفسا وجدت بغير إرادتها ورغبتها.. وبعاهة ليست مسؤولة عنها فباريها وموجدها هو الذي أوجدها بما هي عليه (هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء).

ـ وكيف يقسم مجتمعه إلى طبقات ثلاث وشعار المسلمين (الناس سواسية كأسنان المشط)؟ لكن المشكل عنده أنه لم ينتقد هذه الأمور ولم يتحدث عنها سلبا وإنما أهملها إهمالاً مطلقاً. وإذا غفرنا له إعراضه عن الحديث في هذه المسائل الشائكة فإننا لا نغفر له إغفاله الحديث عن الرياضة والطلب من الآخرين على المواظبة عليها، فالرسول الكريم يقول: (علموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل). ومهما غفرت له أنا شخصياً فلن اغفر له (نسيانه أو تناسيه) الحديث في الموسيقى والحث على تعلمها، فـ (فيثاغورث) اعتبر الموسيقى رياضيات راقصة. و(زارادشت) سمى الجنة (بيت الغناء). و(شوانغ تسي)[1] تلميذ (لاوتسه) زعيم الطاوية وحبرها وإمامها كان يعطي الأولوية للموسيقى التي تستوعب بألحانها السماوية كل شيء. و(شوبنهاور) (أخرج الموسيقى من دائرة الفنون وعدها فناً قائماً بذاته). و(الفارابي) كما يقولون (مخترع آلة القانون) وعوده ينفث سحر الملكين (هاروت وماروت) بل فاقهما سحراً. رغم ذلك لم يذكر الموسيقى في مدينته الفاضلة وهذا أمر يدعو للاستغراب. ترى هل أحجم عن ذكرها لأن(الموسيقى في سائر التراث العالمي

---

(1) فيلسوف صيني. توفي عام /320/ ق. م.

كانت محرمة على الإماء متروكة بحرية للحُرّات والأحرار)(وفي التراث العربي كانت محرمة على الحرات والأحرار متروكة باحتقار للإماء).

وأنا لم أورد هذا المثال لقناعتي بصدقه لكن لأخرج من خلاله بسؤال استنكاري فقط.. أترى هل هذا هو السبب في إحجامه عن الحديث في الموسيقى؟ لا أعتقد ذلك. لأنه لو كان هذا هو السبب لكان (الفارابي) أول من أحجم عن الموسيقى في زمنه أو على الأقل، لما فاخر وجاهر بإتقانها أمام عظيم الرجال سيف الدولة وحاشيته وأمام أمهرعازفيه ومغنيه. لكن ما نسجله للفارابي:

ـ إنه المجتهد العربي الإسلامي الأول الذي تصور مدينة فاضلة (يوتوبية) آملاً أن تكون الأحلام الوردية في متناول الجميع. ولا يضيره بعض التعثر لأن البدايات من أصعب المشكلات في كل شيء ويكفيه فخراً أنه صاحب قصب السبق في هذا الموضوع.

ـ كما أنه المؤسس الأول للفلسفة الإسلامية ـ ولو كان الكندي سابقاً عليه في الوجود زمناً[1] (لخ).

ـ وهو أول من وضع نواة تصنيف العلوم وفصل السياسية عن علم الكلام. ولا احد يعرف ما كان عساه يكون الفكر الفلسفي في الإسلام لولاه /35/.

وإذا عابوا على (الفارابي) تقليده (لأفلاطون)، وكلنا يعرف أنه لا جديد تحت الشمس، فماذا يسعنا أن نقول عن (أفلاطون) بعد أن عرفنا ما قاله (هيبودامـوس) و(ليكورجيوس) السابقين عليه زمناً وموضوعاً، وكان مماثلاً لما جاء به (أفلاطون)؟ أنا شخصياً لن أقول شيئا ولن أعقب ولو بكلمة بل سأورد على مسامعكم في النهاية جملة قالها أفلاطون بلسان حاله في كتابه (الجمهورية والتيتانوس): (لا يكون الإنسان فيلسوفاً إلا إذا انبثقت الأفكار من نفسه وكانت معبرة عنه هو.. لا صدى لأفكار الآخرين). قولوا أنتم عنه ما تشاؤون.. فقد قلت عنه أنا ما سمعتم..

---

(1) /801 -872/ م عربي النسب لقب بـ (فيلسوف العرب) عاصر المأمون برع في الفلسفة والطب والرياضيات اسمه (أبو يوسف يعقوب بن اسحق الكندي) قام في الفلسفة العربية بدور سقراط في الفلسفة اليونانية. وكان معتزلياً.

وسواء أخالفنى أحدكم.. أم حالفني.. فما ذلك إلا بمثابة إغناء للموضوع الذي نحن بصدده.

قال (ص): (اختلاف أئمتي رحمة)

وقال أحدهم لآخر: دلّني على الفقه، قال: اسمع الاختلاف.

obeikandl.com

المصادر والمراجع

1 ـ الفلسفة العربية عبر التاريخ. رمزي نجار. دار الأفاق ط/1/ 1979.

2 ـ مدخل لقراءة أفلاطون. الكسندر كواريه. المؤسسة المصرية العامة للتأليف والطباعة والنشر. مصر .

3 ـ من أفلاطون إلى ابن سينا. جميل صليبا. دار الأندلس ط/4/.

4ـ تاريخ الفلسفة المعاصرة. حنا الفاخوري + خليل الجر. دار المعارف بيروت ج/ 1ـ2/.

5 ـ من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية. د. محمد عبد الرحمن مرحبا. منشورات دار عويدات بيروت.

6 ـ المدينة الفاضلة عبر التاريخ ماريا لويزي بيرنيري. سلسلة عالم المعرفة الكويت 225.

7 ـ السارترية. تهافت الأخلاق والسياسة د. خليل أحمد خليل. المؤسسة الجامعة للدراسات والنشرو التوزيع بيروت /1980/.

8 ـ تهافت الفلسفة. تأليف. السيد محمود أبو الغيض المنوفي. دار الكتاب العربي 1967م.

obeikandl.com